فقل للمطايا قد أرحن من السرى • وطي الفيافي فدفدًا بعد فدفد
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر • ولم تظفري بعد بمسوّد
وقل للعطايا بعد فضل تعطلي • وقل للرزايا كل يوم تجددي

ويقال إن الذي سعى بهم هو علي بن عيسى بن ماهان وذكر بعض المؤرخين أنه وجد على باب علي بن عيسى المذكور بعد قتل جعفر هذان البيتان ولا يعلم من كتبهما ولا من قائلهما •

إن المساكين بني برمك • صبت عليهم نوب الدهر
إن كان في أمرهم عبرة • فليعتبر صاحب ذا القصر

وكانت نكبتهم قريبًا من نكبتهم كان الإيقاع بهم بعد رجوع الرشيد من الحج في المحرم سنة سبع وثمانين ومائة وعمر جعفر يومئذ خمسًا وأربعين سنة وكانت مدة دولتهم سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وأيامًا ولله در أبي كلثوم بن عمرو العتابي حيث قال يعرض بالبرامكة ويذكر عاقبة صحبة السلطان وإنما المتعلق بها من غدر الزمان أمان

تلوم على ترك الغنى باهلية • طوى الدهر عنها كل طرف وتالد
أسرك أني نلت ما نال جعفر • من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصني • مغصّهما بالمرهفات البوارد
ذريني تجئني منيتي مطمئنة • ولم أتقحم هول تلك الموارد
فإن كريمات المعالي مشوبة • بمستودعات في بطون الأساود
وإن الذي يرقى من المجد والعلى • ملقى بأنواع الأذى والمكائد

وقد ذكر المأمون إذ قال وكان يعتذر عن إيقاع أبيه بالبرامكة وإن لم يقصد • لا يستطيع الناس أن ينصفوا الملوك من وزرائهم

ولا

وقف لله

ولا يستطيعون أن يبصروا أبا العدل بين ملوكهم وحماتهم وكفاتهم وذلك أنهم يرون تظاهر حرمتهم وخدمتهم ونصيحتهم ويرون أن إيقاع الملوك بهم ظاهر • ولا يزال الرجل يقول ذلك فيما أوقع به إلا رغبة في ماله أو رغبة فيما لا يجود النفوس به • أو الحسد أو الملالة وشهوة الاستبدال • ولا فائدة ما يؤتى بها وإنما هي الجنايات في صلب الملك أو في تعرض للحرم فلا يستطيع الملك أن يكشف للعامة موضع العورة • ويحتج لتلك العقوبة بما يستحق ذلك الذنب ولا يستطيع الملك ترك عقابه لما في ذلك من الفساد مع علمه بأن عذره غير مبسوط للعامة ولا معروف عند أكثر الخاصة •

ومن التشفي الشنيع ما حكي أن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب كان يطعن على عبد الله بن المقفع أشياء كثيرة منها أنه كان يهزأ به ويسأله عن الشيء تعنتًا فإذا أجابه قال له ابن المقفع يا ابن المغتلمة والله ما اكتفت أمك برجال العراق حتى تعدتهم إلى رجال أهل الشام فحقدها عليه فآلى على نفسه إن أمكنه الله منه ليقتلنه شر قتلة فاتفق أن عيسى ابن علي عمّ المنصور أمر ابن المقفع أن ينطلق إلى سفيان وكان إذ ذاك على شرط بغداد برسالة كان المنصور أمره بها فقال له إني لا آمن سفيان فقال له انطلق إليه ولا تخف فإنه لم يكن ليعرض لذلك وهو يعلم مكانك مني فلم يجد ابن المقفع بدًا من امتثال أمر عيسى • فذهب حتى أتى باب سفيان من مجلسه إلى المقصورة • فلما رأى ابن المقفع قال له وقعت والله فقال له أنشدك بالله تعالى فقال أمي مغتلمة كما قلت إن لم أقتلك قتلة لم يقتل بها أحد قبلك • وأمر بتنور فسجّر ثم أمر به فقطع